المشروع الحداثي في فكر محمد أركون

The Modernist Project in The thought of Muhammad Arkoun.

بوعريشة هاجر* bouaricha1989hajer@yahoo.com	فلسفة معاصرة	كلية العلوم الانسانية والاجتماعية/ الجامعة جيلالي ليابس / البلد الجزائر
أد. قسول ثابت Kassoul.tabet@gmail.com	فلسفة اللغة	كلية العلوم الانسانية والاجتماعية/ جامعة جيلالي ليابس/ الجزائر

DOI: 10.46315/1714-010-003-003

الإرسال: 2020/06/10 **القبول**: 2020/09/13 **النشر**: 2021/06/16

ملخص: (عربية) عند الحديث عن المشاريع الفكرية الحداثية التي تسعى إلى نقد العقل العربي الإسلامي، من الضروري الحديث عن أحد مؤسسي المشروع الحداثي بامتياز في الفكر العربي المعاصر. وهو المفكر محمد أركون الذي ظل ينادي بضرورة أرخنة التراث وإخضاعه للتفكيك والنقد بنزع هالة القداسة على الموروث الإسلامي والنصوص التأسيسية، أي البحث عما يخص الإسلام كدين وفكر وثقافة ومدينة وتاريخ، ونموذج من نماذج الإنتاج التاريخي للإنسان والمجتمعات البشرية، ووضع قطيعة معرفية مع عقل العصر الوسيط الأرثوذكسي الميثي الذي لا يزال العقل العربي المعاصر يتكئ عليه في مجابهة واقعه المتخلف فيجي بفكر وعقلانية أطرت للمسلمين وفق امكانيات وأدوات اجتهادية تتوافق مع الأطر الثقافية والاجتماعية لذلك الزمان، وتجاوز هذا الماضي لا يكون إلا بالاعتماد على آليات المناهج الحديثة للخروج من عقل لاهوتي ميثي وبلوغ عقل مجدد منبثق يجابه العالم بمنطق الإنسانية، أي قراءة التراث وفق المناهج الحديثة ودراسته دراسة علمية لولوج المعاصرة.

كلمات مفتاحية: العقل الإسلامي، حداثة، عقل التنور، عقل استطلاعي

Abstract: (English)

When talking about modernist intellectual project that aim to criticize the Islamic mind, it's important to speak about one of the founder of a modernist project in contemporary Arab thought, the thinker Mohammad Arkoun who had called for the criticism of the Islamic heritage and texts, the research on Islam as a religion thought culture, history and as a model of historical production of human lings and communities put an end to the medieval orthodox mind that the Arabs mind still learner facing its backrand reality .

Getting out of this past is only by relying on modern mechanism that confronts the world with humanity and interpreting the heritage according to modern curricula

Keywords : modernity, Islamic Mind, The Mind of Enlightenment, Exploratory mind

* الباحث المُرسل: bouaricha1989hajer@yahoo.com

مقدمة:

إن الانحطاط والتخلف الذي تعيشه الأمة العربية والإسلامية دعا المفكرين لتساؤل عن أسباب تفشي هذا التدهور، ومحاولة تشخيص أمراض الأمة للنهوض بها نحو الحداثة فاختلفت وجهات النظر بين من يدعوا إلى التشبث بالهوية والثقافة العربية الإسلامية، ومن يدعوا إلى تجديد والسير نحو الحداثة، لأنها واقع لا يمكن التملص منه فنحن نعايشه ونرى نتائجه على الدول المتطورة التي قفزت نحو التحضر بفضل دراستها لتراثها دراسة نقدية، وذلك بتأسيسها لنقد بناء بعيد عن الدوغمائية والأصولية المتحجرة، وبعيدا عن ساحة التبجيل والأسطرة.

نقد يساهم في إيجاد الحلول لقضايا الأمة وما آلت إليه من تخلف، وذلك بنقد العقل العربي الإسلامي وآليات تفكيره، هذا العقل الذي يعتبر الفاعل الاجتماعي الأساسي لبناء الحضارة والقفز نحو العقلانية والتنوير. وفي هذا المقال نحاول وضع مقاربة تحليلية نقدية للمشروع الحداثي للمفكر محمد أركون، والذي يتموضع تحت إطار المشاريع العقلانية، هذا المشروع الذي يشترط منا تفكيك التراث الإسلامي معتمدين على المناهج الإنسانية الحديثة للخروج من الأزمة الراهنة، فوعي التراث ضرورة حتمية لإمكان وعي السيرورة التاريخية المتنامية وهذا لب المشروع الحداثي لأركون وعليه نقترح الإشكالية التالية ماهي الحداثة؟ وما هي أسس هذا المشروع الحداثي؟

1. مفهوم الحداثة:

أ- لغة: مفهومها اللغوي: كلمة حداثة في اللغة العربية مشتقة من جذر(ح- د- ث) حدث الشيء حدوثا وحداثة : نقيض قدم، وإذا ذكر مع قدم ضم للمزاوجة كقولهم: اخذه ما قدم وما حدث، يعني همومه وأفكاره القديمة والحديثة والأمر حدوثا وقع. وأحدث الشيء: ابتدعه وأوجده (ضيف، ش، 2004، 159)، بمعنى أن المصطلح في اللغة العربية يعني التجديد والإبداع وتجاوز كل ما هو قديم .أما في اللغة الفرنسية فحديث(modern) يعني تجريبي غير تقليدي، وحداثة (modernity)هي المعاصرة، وحداثة(modernism) وهي الأفكار والأساليب الحديثة هذا التحديد اللغوي في قاموس اكسفورد (جويس، م،2003، 682)، أما في الفرنسية فكلمة حديث moderne تقابها كلمة modernus في اللاتينية، وهي لفظ مستعمل بكثرة منذ القرن العاشر في المساجلات الفلسفية أو الدينية، ويكاد يستعمل بمعنى ضمني وهو انفتاح وحرية فكرية، وإما عامي أي حب التغيير من أجل التغيير، ميل إلى الاهتمام بالانطباعات الراهنة، بلا حكم على الماضي وبلا تفكير فيه(اندري، ل، 2001 ،822) .

والحداثة العصرية Modernism مذهب يتجه أنصاره إلى تفضيل كل ما هو عصري أو مستحدث عن كل ما هو قديم. أما ظاهرة الحداثة (أو العصرية) فتتميز كظاهرة اجتماعية بعدة خصائص: وهي الإبداع والتغيير والسيطرة على الظواهر وإخضاعها لصالح الإنسان ثم التنوع والمرونة بالإضافة إلى توفير المهارات والمعارف الفردية للمعيشة في عالم تكنولوجي متقدم وأخيرا نزعة تأخذ بالأساليب الجديدة في جوانب الحياة الفكرية والعملية (ومنه التجديد المتطرف)

(الصالح، م،1999، 346). والحديث يتعارض مع الوسيط، والتاريخ الحديث هو تاريخ الوقائع التالية لسقوط القسطنطينية سنة 1453 "الفلسفة الحديثة" وهي فلسفة القرن السادس عشر والقرون التوالي حتى أيامنا. ويطلق غالبا على ديكارت وباكون اسم مؤسسي الحداثة (لالاند، ا،2001، ص 822).

ب- اصطلاحا: إن الحداثة ليست مفهوما زمنيا صرفا، إنها تضيف إلى المعنى الزمني معنى الجدة، فالحديث الذي ليس بجديد، أو الذي لا جديد فيه، لا يستحق أن نهتم به، والجديد لا ينبغي أن يكون مقصودا لكونه جديدا فحسب، أي لمجرد كونه غير معروف أو غير مألوف أو مغاير للأصل الموروث، الجديد الذي يستحق الاهتمام، الجديد الحقيقي وهو الذي يضيف إلى القديم إضافة جوهرية تغير في موقع القديم الباقي وفي قيمته وبهائه وجلاله (أدونيس، وآخرون، 189، 2008).

والحداثة كمصطلح ارتبط بمجالات متعددة فنية، وتقنية، وعلمية، وفكرية، وهي على العموم حركة فكرية وضعت قطيعة مع عقلية القرون الوسطى الأوروبية التي تميزت بهيمنة العقيدة اللاهوتية المسيحية فكان العقل خاضعا لعلم اللاهوت خادما للكنيسة، زاهدا محتقرا لدنيا باعتبارها دار عبادة وعبور لحياة الخلود في الدارة الآخرة، أكثر تصديقا وتعلقا بالمعجزات وبكل ما هو ساحر خلاب، بمعنى هيمنة العقلية الرمزية الأسطورية، لا يؤمن بفحص الظواهر وتفكيكها والتجريب عليها لفهم كنهها، هذه السمات تجددت وتغيرت بعد صراع مع العقل اللاهوتي ونقده وتفكيكه والايمان بعقل الانسان وقدرته على الفهم والتغيير والمعرفة والهيمنة على الطبيعة، بعقلنة الفكر وتجاوز معطيات الماضي الأصولي المتحجر.

لكن ليس من السهولة ضبط مفهوم الحداثة هذا المصطلح يتماهى بقدر تعدد مستويات وسمات التحديث سواء أكان تحديثا علميا، أو تقنيا، أو سياسيا ...الخ . فالحداثة تتمظهر في التغيير الحضاري الشامل الذي يرسم خط الفصل بين القديم والجديد، ويبني أنساقا جديدة من التصورات في الميادين العلمية والسياسية والابداعية (التريكي والتريكي،1992، 126) . وهي في نظر آلان تورين معاداة التراث، وسقوط الأعراف والعادات والعقائد، وهي الخروج من الخصوصية والدخول إلى الكونية (تورين،آ،1997، 270).

2.الحداثة في سياقها التاريخي:

إن حركة الحداثة كديناميكية تاريخية ليست وليدة قرن الثامن عشر، أو التاسع عشر في أوروبا بل إن جذورها تعود إلى القرن الخامس عشر، فالحداثة والتغيير لم يحدث في سنة واحدة ولا في قرن واحد، بل انطلقت ديناميكيتها تدريجيا لتترسخ على كافة الجهات الاجتماعية في أروبا ثم لتنتشر في كافة أنحاء الكرة الأرضية وذلك عبر المعالم الاستراتيجية التالية : النهضة الأوروبية في ايطاليا، الإصلاح الديني الاكتشافات الجغرافية، الثورات العلمية في جميع المجالات خاصة في ميدان الفلك (كوبرنيكس وغاليلو)، في ميدان البيولوجيا(لامارك وداروين)، الثورة الصناعية في انجلترا، الثورة الفرنسية، الثورة الأمريكية، الروسية، الثورات العلمية والصناعية المتواصلة الآن (سبيلا، م، 2007، 64). فقد كان الناس في أروبا مدة القرون

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

الوسطى لا يعرفون من العلم سوى ما قاله السلف الصالح يقضون أوقاتهم في تفسير أقوالهم على نحو ما يفعل بعض المستشرقين الذين هم نكبة الشرق الآن (موسى،س، 1935 ،146،145)، فكانت كلمة أرسطو طاليس هي العليا تتحطم الرؤوس في تفسيرها ولا تستطيع العقول معارضتها طوال مدة قرون الوسطى إلى حين الميلاد الجديد لأروبا بعد الانعتاق من أغلال الاقطاع وبحور الظلام، وقد قدر لإيطاليا أن تقود ركب النهضة الأوروبية من خلال الحركة الإنسانية والتي وصلت آثارها إلى ما وراء جبال الألب لتطال فرنسا وألمانيا وانجلترا. وكذلك من خلال حركة الإصلاح الديني التي أشعل نيرانها مارتن لوثر (عبيد، ا، 2006 ،08).

وبذلك شهدت اروبا حركة تجديد وتقدم وتطور في بنية الفكر والواقع ودفع الانسان إلى آفاق المستقبل والقطيعة مع الماضي والحاضر، هذا في العصور الحديثة التي يؤرخ لها ابتداء من اختراع المطبعة واكتشافات جاليليو واكتشاف أمريكا وظهور النزعة الإنسانية والإصلاح الديني وإصلاح الكنيسة الكاثوليكية نفسها وظهور العلمانية، غير أن القرن 17م والقرن18م دشنا ووضع الأسس العميقة للحداثة فالنهضة والقرن18 قد اقتنعا بأن العقل قد وصل إلى درجة من القوة يصبح معها منتصرا أو يستطيع أن يبني وحدة جديدة بين الكلمات والأشياء، هذه العلاقة الجديدة بنيت حول ذات أخرى غير ذات الإله وهي الذات الإنسانية، لقد أصبح الإنسان هو الموجه الأساسي بفضل منهجه الذي يحكم البحث والسلوك في الحياة، واستطاع الفكر الغربي الحديث أن يقطع مع الماضي وأن يؤسس للفكر الفردي وللعقلانية المعاصرة التي يعتبر ديكارت وفلاسفة الأنوار ممثلها الأساسين، وأيضا تأسيس فكرة الدولة المركزية والفيزياء وعلم الطبيعة والعلمانية في جميع المجالات وكل هذه التطورات تدور حول فكرة الانسان الذي وجد نفسه متربع على عرش في مكان ما رسمته الكنيسة، وهكذا انسحبت الكنيسة والدين ليعطيا مكانهما للإنسان الذي أصبح مالكا وسيد للطبيعة لوحده (اليعقوبي،ع، 2016، 34،35). وقد ترسخت في القرن العشرين على يد العلوم الحالية هذه هي فتوحات ومغامرات العقل في الغرب، والتي لم يشارك فيها العقل الإسلامي بذرة واحدة بقي غريبا عنها مهملا على قارعة الطريق موسعا الهوة بينه وبين الحداثة الغربية (أركون،م،1996، 290).

3.مقومات الحداثة:

1.3العقلانية: عقلنة الفكر العلمي وقد بدأت مع الثورة الابستمولوجية للعصر الكلاسيكي مع غاليلي وديكارت ....، هذه الثورة التي فصلت العلم عن الايديولوجيا وأسست الرياضيات نموذجا للعلوم، وقد ترتب عن الإيمان بالعقلانية مايلي:

-عقلنة القول التاريخي من خلال إرادة المعرفة والهيمنة، وقد تحدد عصر النهضة الأوروبي بإعادة قراءة التاريخ العالمي، وذلك باعتبار الحضرة اليونانية كنقطة انطلاق لبناء العقل وكغاية قصوى.

-عقلنة القول السياسي من خلال ضبط مجموعة من القيم تربط الرئيس بالمرؤوس وتعطي أساسا للواجبات والحقوق.

-عقلنة القول الديني بإحداث تقنيات عصرية لقراءة النصوص الدينية واقتحام كل المجالات بما فيها المحرمات للمعرفة والبحث أي نزع التقديس عن النص الديني (التريكي والتريكي، 1992، 127).

2.3الذاتية: ليس هناك وجه واحد للحداثة ولكنهما وجهان ينظر كلاهما إلى الآخر، ومن الحوار بينهما تتشكل الحداثة، هما العقلانية والذات يقول الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس: " أن الحداثة لا تستطيع أن تستعير المعايير التي نسترشد بها من عصر لآخر، مثلما أنها لا ترغب في ذلك فهي ملتزمة باستخراج معياريتها عن ذاتها، من أجل أن تستقر، أن تحدد موقفها من ذاتها ومن العالم" (شيخ أمحمد،2017، 101)، فالثورة الأساسية في الفلسفة الحديثة مثلتها فلسفة ديكارت التي لم تعد تنظر إلى الإنسان كما نظر إليه فلاسفة العصور الوسطى بل أصبح في نظرها ذاتا وهي مقر ومرجع الحقيقة واليقين، وهي المركز والمرجع لكل الحقائق، أي تنصيب الإنسان ككائن مستقل، واع، فاعل، مالك للحقيقة (سبيلا، م، 2007، 65) . فثمرة الحداثة هي تحرير الروح واستقلالية الذات البشرية بعد انتزاعها من براثن العقل اللاهوتي الذي كان سائدا في العصر الوسيط. واستقلال الذات معناه تعامل الانسان مع نفسه كذات واعية وسيدة مريدة وفاعلة (حرب،ع، 1998، 21).

ومبدأ الذاتية قد رسخ لأحد ثوابت الحداثة والمتمثل في إرادة المعرفة وهو جرأة الإنسان على اقتحام كل الميادين وكل مظاهر الحياة وتعابيرها لمعرفتها على حقيقتها بما في ذلك ميدان المحرمات في عصر النهضة الأوروبي، هذا سيرسخ للمبدأ الثاني وهو إرادة التغيير والذي يتمثل في تكريس المعارف المكتسبة من أجل تغيير الواقع يتماشى مع متطلبات الحداثة وذلك بتغيير المعطيات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، أما الثابت الثالث الذي ميز حركة الحداثة في نمط تكوينها زحفها على الحضارات المجاورة فهي ترتكز على إرادة الهيمنة (التريكي والتريكي، 1992، 21)، بذلك الحداثة ليست دعوة إلى التحرر والدفاع عن حقوق الانسان والشعوب المستضعفة بل هي مصدر للقمع والاستعباد وعليه أصبحت أديولوجيا مهيمنة للضغط على الشعوب الضعيفة، ففقدت روحها وقيمها الانسانية والروحية والأخلاقية ،بتغليب الجانب النفعي والمادي البراغماتي العملي، هذا لا يعني التخلي عن منجزاتها والاستهانة بما قدمته للإنسان من تحرر وكرامة بعد إعلاء راية العقل فأصبح الإنسان مسيطرا على الطبيعة بعدما كان عبدا لها، لكن يجب مراجعتها ونقدها لسد ثغراتها وتصحيح مسارها وأبرز مواطن انحرافها ومحدوديتها، بالدعوة إلى عقلانية أكثر تفتحا وأكثر شمولية لا تقصي الآخر من مسار الحداثة.

4.نقد العقل التنويري: إن أركون يتبنى منجزات الحداثة لكن يدعو إلى نقدها ويستند في نقده للعقل التنويري الحداثي إلى تحول هذا الأخير إلى إيديولوجيا للهيمنة بفعل ارتباطه بإرادة القوة، وتحول مقولاته الأساسية لمجرد شعارات زائفة تقبع خلفها نقائصها وهو ما حدث للديموقراطية والعلمانية وحقوق الانسان (مسرحي،ف، 2015، 141). فالحداثة الآن تحولت إلى إديولوجيا وانحرفت عن طريقها فمثلا شعار حقوق الانسان أصبح الغرب يرفعه كشعار ايديولوجي للضغط على الآخرين أكثر مما يتقيد به عندما يتعامل مع الآخرين (أركون، م، 1998،160)، لذا ينبغي على الحداثة كمشروع إنساني أن تصحح إرادة المعرفة الهادفة إلى السيطرة والاستغلال والهيمنة، عن طريق ادخال فعلي، أي قانوني فلسفي

لحقوق الروح في حقوق الانسان، ولا ينبغي أن نتاجر بحقوق الإنسان أكثر من اللازم، لأنه عندئذ تفقد عصارتها ونبضها الأزلي ومعناها. ولا ينبغي أن نحرف المعرفة كأداة لتحرير الشرط البشري لكي تتحول إلى أداة لقمع الأخرين واستغلالهم (أركون، م،1998، 160).

وعلى الحداثة أن تنتقد ذاتها وتخفف من غلوها، فليس كل ما جاءت به صحيحا ومقبولا، يجب بعث الروح في الحداثة، فهي في حاجة ماسة لبلورة مبادئ أخلاقية تنظم الفوضى الشاملة التي تسبح فيها (أركون، م،1998، 168)، فاستعادة الحداثة لبعدها الروحي والإنساني، في مجتمعات الحداثة اليوم لن يتحقق بحسب أركون إلا من خلال بلورة ميثاق أخلاقي، أي بسن مجموعة من المبادئ والضوابط، من أجل تنظيم الانقلابات الكبيرة وتهدئة القلق والمخاوف التي باتت تثيرها الحرية المطلقة للعقل، والذي ينبغي أن يعقل هو الآخر ويقيد، وإلا أفضى إلى نقيض مقصده (بلقزيز،ع، 2010، 142)، وعن أدلجة الحداثة يقول أركون:" فعقل التنوير ولد عصرا جديدا من التقدم والانطلاقة التدشينية للتاريخ، بتحريره للساحة الفكرية الأوروبية من المعرفة الخاطئة والأنظمة السياسية والتشريعية التعسفية، وهي أنظمة تشكلت وتراكمت على مدار التاريخ من قبل المؤسسات الكهنوتية لكل الأديان، ولكن عقل التنوير راح بدوره يتجمد في مرحلة لاحقة. وهذه هي حال كل شيء ينتصر ويترسخ. لقد استنفذ هذا العقل التحرري طاقته الروحية والأخلاقية بسرعة وتحول إلى عقل توسعي راغب في السلطة والهيمنة على الآخرين." (أركون، م،1998، 180)

وتجاوزا لهذا التشظي والانحراف الحداثي يدعوا أركون إلى حداثة بمضمون إنساني وروحي في آن واحد، أو لا تكون، وفي هذا رفض واضح لنتائج الحداثة الغربية، التي بمبالغتها في تنزيل العقل مكانة مطلقة، وبإلغائها للبعد الروحي، قضت بذلك على ما اكتسبته (بلقزيز،ع،2010، 143). وهنا يلتقي أركون مع طه عبد الرحمن من حيث التأسيس لحداثة إنسانية بمعايير أخلاقية وذلك بالجمع بين البعد الديني بكل ما يحمله من قيم روحية بالنسبة لوجود البشر، وبين فتوحات الحرية التي حققها العقل التنويري في أوروبا، والتي لا ينبغي إنكارها أو التراجع عنها بأي حال من الأحوال (بلقزيز،ع، 2010، 147)

5. نقد العقل الديني: ولتأسيس حداثة بمضمون إنساني وروحي في العالم العربي الإسلامي يجب في نظر أركون الابتعاد عن وهم الحداثة المادية، فنحن نعيش في هذا العصر ونمارس الحداثة على صعيد المادي بدخول التقنيات في حياتنا لكن هذا ليس روح الحداثة؛ فالحداثة الحقيقية تكون على الصعيد الفكري بإخراجه من السياجات الدوغمائية إلى التحرر العقلي لذا يشترط أركون ضرورة التمييز بين الحداثة المادية المتوافرة في المجتمعات الإسلامية خاصة الغنية منها وبين الحداثة العقلية أي تحديث موقف الفكر البشري من مسألة المعنى أو الفهم الوجود أو رؤية العالم التي تنقصنا وبشكل رهيب (شيخ،أمحمد، 2017، 104) . فالحداثة المادية ليست أكثر من إدخال التقنية واستيراد الآلات تحسين طرق الانتاج وهذا ينطبق على جل البلدان العربية والإسلامية التي تشهد نوعا من الحداثة المادية، دون أن يرافقها تغيير ملموس في اللغة والثقافة وحتى الأنظمة السياسية (مسرحي،ف،2006، 143). فالتجديد إبداع وابتكار،

وليس تقليد وتبعية كما يعتقد البعض. وتكديس أحدث التقنيات، واستيرادها بعيد كل البعد عن الحداثة، فولوج الحداثة يقتضي التجديد على المستوى الفكري والأخلاقي.

لذا يشترط أركون نقد الأسس المكونة للعقل الديني الإسلامي لتأسيس حداثة في واقعنا العربي الإسلامي ومن دونها يستحيل التأسيس لمشروع الحداثة حيث يقول:" إن نقد العقل الإسلامي يشكل الخطوة الأولى التي لابد منها لكي يدخل المسلمون الحداثة. ولكي يسيطروا على الحداثة." (أركون، م،1998، 331) فما المقصود بنقد العقل العربي الإسلامي؟

نقد العقل الإسلامي يعني دراسة شروط صلاحية كل المعارف التي انتجها العقل ضمن الإطار الميتافيزيقي والمؤسساتي والسياسي الذي فرض عن طريق ما دعاه أركون بالظاهرة القرآنية والظاهرة الإسلامية (أركون، م،1996 ،13). أي نقد بمعناه الحديث كما مورس ابتداء من كانط واغتنى من بعده، نقد لا يقوم على فحص المعارف والأفكار بقدر ما هو بحث في قبليات المعرفة وشروط وإمكان الفكر. إنه لا يرمي إلى اظهار كذب الروايات أو المقالات أو إلى تبيان تهافت المذاهب والنظريات بل يرمي إلى البحث عن المؤسسات والأبنية والممارسات التي تتيح للخطابات أن تتشكل وتنتشر، ولأنظمة المعارف أن تنشأ وتسيطر... باختصار هو قراءة في النصوص والتجارب لسبر إمكاناتها واستنطاقها عن مجهولاتها (حرب،ع،2005 ،201،202)، إنه لا يكتفي بقراءة المعلوم لفضحه والحكم عليه، وإنما يستقصي المجهول والمغيب والمستبعد (حرب،ع،1998، ص201،202)، والنقد هنا لا يقصد به أركون التشكيك والتجريح كما قد يتوهم البعض، وإنما يقصد الكشف التاريخي عن كيفية تشكل هذا العقل لأول مرة، وكيفية اشتغاله في المجتمعات العربية والإسلامية منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا. إن محاولته النقدية تشكل تعرية تاريخية واجتماعية وفلسفية للتراث الكلي والشامل (أركون، م،1998، 274)، أو ما يصطلح عليه أركون السنة الكلية الشاملة، التي لا تقصي من دراستها أي مذهب من المذاهب سواء سني، شيعي، خارجي...، ولا تستثني التراث الشفهي من عادات وتقاليد وأعراف.

فوعينا الحالي محكوم بوعي تراثي لا حداثي، وآلية هذا الوعي هي التي تحول دون ابداع فكري حقيقي. (بوزيد،ب، وآخ، 1999، 23)وعي سكوني دغمائي متحجر ومتخلف مرتبط بأطر فكرية قرووسطية، عقل العصر الوسيط الأرثوذكسي الميثي الذي لا يزال العقل العربي المعاصر يتكئ عليه في مجابهة واقعه المتخلف ،فيحي بفكر وعقلانية أطر ت للمسلمين وفق امكانيات وأدوات اجتهادية تتوافق مع الأطر الثقافية والاجتماعية لذلك الزمان، يتكئ على الأموات لحل مشاكل الأحياء، لذا طرح المفكرون العرب اشكالات وتساؤلات عن سبب تقدم الأوروبيين وتأخرنا، عن أسباب فشل مشروع التنوير والنهضة في المجتمعات العربية والإسلامية وصعوبة ولوج الحداثة وقد اتفقوا على ضرورة نقد آليات التفكير وتفكيك بنية وعينا باستثمار آخر تطورات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

فيحاول مفكرنا(أركون) استثمار العلوم الإنسانية المعاصرة لدراسة ونقد العقل الإسلامي متخذا من القرآن وتجربة المدينة نقطة انطلاق، ويرى أن الأرثوذكسية التي تشكلت في ثقافتنا العربية الإسلامية تحول دون فتح الأضابير التاريخية وتجديد الفكر بشكل جذري ومن هنا يسعى إلى تفكيكها (بوزيد،ب،

وآخ، 1999 ،23)، لتحرير العقل الإسلامي من الأغلال والقيود الدوغمائية التي تسيجه، وتحد من قدراته على الحركة والفعل، والتي أصبحت تشكل نوعا من المسلمات الضمنية التي توجه المسلمين في قراءتهم وكتابتهم لتاريخهم، (بلقزيز،ع،2010، 145) باسم المقدس والكتابة والسيادة العليا، فاغلق ما كان مفتوحا ومنفتحا، وحول ما كان يمكن التفكير فيه، وبل يجب التفكير فيه إلى ما لا يمكن التفكير فيه. ولفتح أضابير المغلق والمستحيل التفكير فيه، (أركون، م،1998، 07) وتغيير الأطر الفكرية التقليدية التي تحد من حرية الفكر يجب التأسيس في نظر أركون لعقل حداثي، عقل استطلاعي استكشافي أو ما يصطلح عليه أيضا بالعقل المنبثق فما هي خصائص هذا العقل؟ وماهي سماته في نظر أركون التي ستاهم في ولوج الحداثة الفكرية؟

إن العقل الجديد الذي يحلم أركون بظهوره، هو عقل يتسم بأنه تعددي، متعدد الأقطاب، متحرك، مقارن، انتهاكي، ثوري، تفكيكي، تركيبي . تأويلي، ذو خيال واسع، شمولي، يهدف إلى مصاحبة أخطار العولمة، ووعودها في كل السياقات الثقافية الحية حاليا (أركون،م، 1999). أي أنه عقل متمرد رافض للمعرفة الجاهزة، عقل شكاك ارتيابي، يرفض السياجات الدوغمائية، بعيد عن الاجترار والتقليد، عقل يطمع إلى فتح أفاق اللامفكر فيه من التراث والمستحيل التفكر فيه، مستخدما العدة المنهجية والأدوات النقدية من فكر الحداثة وما بعدها، عقل يسعى إلى تفكيك النصوص التأسيسية من منظور تاريخي اجتماعي، وذلك لتحطيم اليقين القائل بأن هذه النصوص فوق التاريخية البشرية، أي نزعة هالة القداسة وارخنة التراث.

عقل يقبل تعدد التأويلات ولا يدافع عن طريقة واحدة في التأويل، أي يعتمد على نظرية التنازع في التأويلات بدلا من التعصب لنظرية واحدة، فمن الضروري التخلي عن الرؤى الإسلامية الأرثوذكسية التي تعرض على أنها تمثل دين الحق وتقدم للناس حقيقة مطلقة، ثابتة، متعالية على مختلف الحقائق النسبية المتحولة لأن الحق في منظور أركون خاضع للتاريخية. (مسرحي،ف، 2006 ،81)

عقل جديد يكافح على جمع الجبهات، لا ينحاز إلى الغرب أو الشرق، إلى الدين أو الدنيا، إلى سياسة شرعية لاهوتية أو فلسفية إيجابوية علمانوية، بل ينتمي إلى المذهب الفلسفي المنهاجي البناء، (أركون، م،1998، 09) وهكذا يتبدى لنا أن مشروع نقد العقل الإسلامي عند أركون لا يقتصر على نقد الرؤية العربية الإسلامية للتراث، بل يمتد ليطال الفكر الغربي برمته، فمن مهامه تصحيح الانحرافات التي وقع فيها العقل الحداثي الأوروبي الذي تحول إلى عقل أداتي انتهازي رأسمالي بارد يحركه منطق المصلحة الشخصية والربح، ويضرب عرض الحائط بالمصلحة العامة (خليفي، ع، 2010، 152)، أي تصحيح مساره وجعله أكثر انسانية وأقل أنانية بعيد عن التحجر والدوغمائية الفكرية.

عقل يعترف بوجود عدة عقلانيات وعدة أنماط من تشكل المعنى، وعدة مستويات من الدلالة، أي أنه يحرص عل الشمولية والإحاطة بجميع ما توفر لديه من مصادر ووثائق، ينافي التشبث بتفوق أمة أو سنة أو اتجاه أو عصر أو دين أو فلسفة على غيرها. (مسرحي،ف،2006، 82،83)

وبتالي أكون يسعى إلى تأسيس حداثة ببعد انسي وروحي ولن تتأتي في نظره إلى باستحضار بعدين أساسيين:

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

الأول البعد الانسي، والانسية هنا ليست انسية الشكلانية التي لا تقيم أي مقارنة بين تعاليم الفلسفة الانسية النبيلة والسامية وبين الممارسات السياسية التي تجري على أرض الواقع فلا يكفي أن نقول نحن إنسيون، نحن مع النزعة الانسانية والانسية، نحن نعتبر الانسان أكبر قيمة في الوجود، ثم نمارس شيئا مختلفا على أرض الواقع، نمارس التمييز والاستبعاد ضد الأجنبي أو المختلف وضعا أو لغة أو وجها أو دينا هذه انسية شكلانية. (أركون،م، 1989، 258) فالنزعة الإنسانية الحقيقية هي القائمة على الإنسان واحترام الإنسان، واعتباره أغلى وأعز شيء في الوجود. (أركون،م،1989، 259)

والثاني هو رد الاعتبار لمكانة العقل الديني في أي مشروع للحداثة بعد أن تم تهميشه من طرف "العقل العلماني" وهذا الأمر يتطلب في نظر أركون، عدم التخلي عن المكانة المعرفية وأنظمة القيم، والخصوبة الفكرية والروحية للديانات السماوية، لصالح اللوغوس التكنولوجي التلفزي أي لصالح العقلانية الوضعية الباردة والمفرغة من أي قيم روحية إنسانية (أركون، م،244،2011)، دون التخلي عن منجزات العقل الحداثي ومبادئه من استقلالية العقل، ورفض الأحكام المسبقة، والإيمان بالحرية، وبفكرة التقدم. ومن هنا يدعو أركون إلى علمانية منفتحة بديلة عن النزعة العلمانوية المتطرفة، تستوعب المكاسب العقلانية للحداثة، دون أن تلغي من حسابها البعد الديني الذي ينبغي أن يشكل مكونا أساسيا في برنامجها (بلقزيز،ع، 2010، 147).

خاتمة: وفي ختام هذا العرض، نصل إلى النتائج التالية:

يعتبر المشروع الحداثي لأركون مشروع نقديا يطال بنقده الرؤية العربية الإسلامية ليمتد إلى الفكر الغربي، فحداثة أركون حداثة شمولية كلية لا تستثني أي إنجاز فكري، تعددية تقبل جميع العقلانيات، وكل التأويلات والقراءات، لا تقبل الحقائق المطلقة بل تقر بالنسبية فكل فكر أو مذهب وحتى نص مقدس قابل للنقد وخاضع للتاريخانية لا يعلوا على الزمن، بل هو من صنع الفاعلين الاجتماعيين. هذه السمات الحداثوية تحرر العقل من السياجات الدوغمائية الأرثوذوكسية المتحجرة التي سيطرت على العقل الإسلامي وتسطر الآن على العقل التنويري الذي ألغى من ساحته الفكر الديني وطاقته الفكرية والروحية، مقابل العقل الآداتي البراغماتي.

ورغم نقده لعقل التنوير والعقل العلماني الذي وقع في الانحراف ووجب تصحيح مساره، إلا أنه لا يتخلى عن منجزاتها، فيفي نقده للعقل الإسلامي يعتمد أركون على آليات المنهجية وأدوات العلوم الانسانية والاجتماعية الحديثة من علم نفس ولسانيات وعلم الاجتماع وانثروبولوجيا.

وعليه مشرع أركون الحداثي ذو نزعة انسانية روحية يجمع بين البعد الانسي الذي يجعل الانسان محور الكون وأغلى شيء في الوجود، وبين البعد الديني الذي نستمد منه القيم الروحية وبتالي حداثة أركون حداثة روحية بأبعاد عقلية وليس تحديثا وسعيا نحو تكديس أنواع التقنيات.

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

المصادروالمراجع:

1اندري لالاند،(2001).موسوعة لالاند الفلسفية،(ط2)،ت: خليل أحمد،بيروت، منشورات عويدات،

2أدونيس، وآخ، (2008).الحداثة في المجتمع العربي،سوريا، دار بدايات.

3أركون، م، (1996)، تاريخية الفكر العربي الإسلامي،(ط2)، ت:هاشم صالح،بيروت، مركز الإنمء القومي.

4أركون محمد،(1999)، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي،(ط1)،ت:هاشم صالح، بيروت،لبنان، دار الساقي.

5أركون محمد،(2011).تحرير الوعي الإسلامي نحو الخروج من السياجات الدوغمائية المغلقة،(ط1)،ت: هاشم صالح،بيروت، دار الطليعة.

6أركون محمد ،(1989)، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد،ت: هاشم صالح، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

7أركون محمد،(1996)، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم،ت: هاشم صالح، بيروت، دار الطليعة

8التريكي،ر . التريكي،ف، (1992)، فلسفة الحداثة، بيروت، دار الانماء القومي

9الصالح مصلح. (1999). الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية،(ط1)،الرياض،دار عالم الكتب

10اليعقوبي عبد الرحمن ،(2016)، الحداثة الفكرية،(ط1)،بيروت،مركز نماء للبحوث والدراسلت

11بلقزيزعبد الإله،وآخ، (2010)،قراءات في مشروع محمد أركون الفكري،(ط1)،بيروت، منتدى المعارف.

12بوزيد ،ب، وآخ. (1999)،قضايا التنوير والنهضة في الفكر العربي المعاصر،(ط1)، بيروت، مركز الوحدة العربية

13تورين،آلان. (1997)، نقد الحداثة، ت:أنور مغيث، باريس، المجلس الأعلى للثقافة.

14جويس،م، وآخ، (2003)، قاموس اكسفورد المحيط،ت: محمد بدوي،لبنان، أكاديميا انترناشيونال.

15حرب علي. (1998)،الماهية والعلاقة، (ط1)،الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

16حرب علي. (2005)،نقد النص، (ط4)،الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي

17خليفي، ع. (2010).قراءة النص الديني عند محمد أركون،(ط1)،بيروت، منتدى المعارف.

18سبيلا، م. (2007).الحداثة وما بعدها،(ط2)،المغرب،دار تبوقال للنشر.

19شيخ أمحمد، (2017)،الحداثة والوعي بين محمد أركون وطه عبد الرحمن، مجلة لوغوس،العدد7.

20ضيف شوقي. (2004)، معجم الوسيط،(ط4)، القهرة، مكتبة الشروق الوطنية.

21عبيد اسحاق، (2006)،عصر النهضة الأوروبية،القاهرة، دار الفكر العربي

22مسرحي،ف. (2006).الحداثة في فكر محمد أركون،(ط1)،منشورات الاختلاف، الجزئر.

23مسرحي،ف. (2015).المرجعية الفكرية لمشروع محمد أركون الحداثي،(ط1)،الجزائر، الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية.

24موس سلامة ،(1935)، حرية الفكر،(ط1)،القاهرة، سلامة موسى للنشر والتوزيع.